Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من المؤسف حقا أن البناء أو التركيب الشعرى لم يكن من المصطلحات النقدية العربية فى العصور القديمة . هذا على الرغم من إشارات واضحة إلى وحدة النسيج أو اختلاف النسيج ، وقد مدحت أبيات بجودة النسج ووصفت أخرى برداءة النسج ، إلا أنها بقيت مجرد أبيات لا قصائد ، كما ظل التعليق عاريا عن أى إيضاح إلا فيما يتصل بالمعنى ، كأن يقال ما نقله المرزبانى فى افتتاحية أبى تمام :

كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر وليس لعين لم يفض ماؤها عذر

إن عجزه لا يشبه صدره ، وإنما كان ينبغى أن يذكر المرثى بمدح ورقة ، ثم يقول :

وليس لعين لم يفض ماؤها عذر(١٤)

فمثل هذه الأقوال ظلت تنظر إلى النسيج الشعرى على أنه معنى ، وأن تناسب المعانى الجزئية داخل البيت أو فى علاقة البيتين أو الأبيات القليلة أمر مطلوب دون أن تصل بهذا التصور إلى غايته لاكتشاف حدود ومعالم القصيدة ، بل إن مصطلح « قصيدة » نفسه لم يكن من المصطلحات النقدية ذات الأهمية ، أو القائمة على أسس نظرية واضحة ، وظل الشعر – لا القصيدة – هو المستأثر بالاهتمام.هناك قلة نادرة تكلمت عن بناء القصيدة مثل ابن طباطبا ، وبعض الفلاسفة الذين شرحوا أرسطو أو لخصوا كتاب الشعر ، ولكن أثرهم فى تطوير الشعر العربى ظل محدودا بدرجة تجعل من الصعب تتبعه أو القطع بوجوده أصلا .

٧

سنجد حول الصورة اجتهادات شتى ، ومحاولات ، ومن المتوقع أن تكون الصورة الشعرية موضع اهتمام الباحث فى الشعر ، وينبغى أن نفرق بين بحوث فلسفية تعنى بمراحل تخلق أو تشكل القصيدة ، وكيف تتحول من خلية إلى علقة إلى مضغة إلى مخلوق كامل ، ويعنينا منها موقع الصورة فى تسلسل المراحل ، وبحوث نقدية تتسلم الصورة فى شكلها النهائى لتكتشف بها أو تكتشف لها علائق وآفاقا متصورة تحتاج إلى جهد التأمل والربط والتحليل .

(١٤) المرزبانى : الموشح ص ٤٦٩ .